# التربيـــة الجمـالية
# ومكانتها فى فلسفة جون ديوى

دكتورة / نوال أحمد نصر (*)

**مقـــدمة :**

يشكل الاهتمام بفلسفة الجمال والدراسات الجمالية محورا رئيسيا من محاور التفكير الانسانى ، وذلك على اعتبار أن الابداع الفنى ظاهرة اجتماعية للحضارة ومعبر عن رقى الانسانية ، فهو لايقل فى أهميته عن العلم · كما أنهما مرتبطان ارتباطا وثيقا ، من قديم الزمان ، كوسيلتين للنهوض بالانسانية ولتقدم الحضارات ، فالعلم يكشف لنا البيئة الخارجية والابداع الفنى يكشف لنا البيئة الداخلية ، ومن خلال تكيفهما معا تنمو الحضارات وتتقدم باعتمادها عليهما (١) ·

لكننا نلاحظ اليوم أنه قد أصبح لدى الجماهير غير المثقفة ضرب مـن اللامبالاة أو عدم الاكتراث بالنسبة للقيم الفنية والجمالية ، فمن الناحيـة الطبيعية نلاحظ مظاهر الرفض المتمثلة فى قطع الأشجار ، وعدم المحافظة على الحدائق العامة بل وازالتها واستبدالها بالجراجات والمبانى ، والفنون بكافة أنواعها فى هبوط مستمر حتى لاتكاد تخلو البرامج الاذاعية والتلفزيونية الجادة من مناقشة الابتذال فى الفن ، كما أنه ليس بخاف عنا مايحدث فى الشارع المصرى من سلوكيات ـ لفظا وعملا ، كما نلاحظ استخفافا بمظاهر الجمال فى البيئة متمثلا فى اهمال النظافة والقاء القمامة فى كل مكان دون اكتراث بأدنى قواعد الذوق ··· كما أن غالبية منتجاتنا الصناعية أضحت مفتقرة ـ أو تكاد ـ الى العنصر الجمالى ·

وفى الواقع ، فان أشد ما يؤلم المرء أن يرى الانسان وقد عزم على أن يقضى على البقية من انسانيته وآدميته ، فيشرع فى التخلى عن آخر قلاع

---

(*) كلية البنات ـ جامعة عين شمس ·

انسانيته التى دمرها بطموحه العلمى البائس ، فالانسان لن يظهر عظمته حين يلمس طرفا واحدا ، فالفكر وحده لايصنع البتة انسانا عظيما ، والعاطفة وحدها لاتصنعه أيضا ، فالانسان الحق فعلا هو مايحقق التوازن الجميل بين الفكر والوجدان ، بين القلب والعقل ، فيجعل من الأفكار ألوانا من الفنون ويشيع نبض الحياة فى التأملات (٢) ٠

وتساعد التربية بعامة فى تنمية القدرة على اكتساب الخبرات الجمالية٠ ولكى يتحقق هذا النمو ويطرد ، يجب أن نهتم بمجال التربية الجمالية ذاته٠ ومن خلال هذا المجال ، تتاح الفرص الابداعية وتكتسب المهارات ، وتنمو المعرفة ويتسع الادراك ، وتعمق الرؤية وتزداد امكانية الفرد على لتمييز بين الأشياء وتزداد امكانيته فى مجال اصدار الأحكام ٠ ومن خلال مجال التربية الجمالية يمكن للفرد أن يكتسب الخصائص التى تنميه جماليا وتعكس آثار هذا النمو فى العالم الذى يعيش فيه (٣) ٠ وهكذا يتبين لنا أهمية التربية الجمالية كعامل ضرورى وأساسى لصقل الذوق ، وتهذيب الوجدان ، وتنمية القدرة على ادراك مظاهر الجمال فى الطبيعة وفى الأعمال الفنية وفى مظاهر السلوك المختلفة ٠

وقد أكد الدستور المصرى فى مادتيه رقمى (١٠) و (١٣) على أنتكفل الدولة حماية الطفولة وترعى النشء والشباب وتوفر لهم الظروف المناسبة لتنمية ملكاتهم ، وتكفل كذلك للمواطنين حرية البحث العلمى والابداع الأدبى والفنى والثقافى وتوفر وسائل التشجيع اللازمة لتحقيق ذلك (٤) ٠

**تحديد المشكلة :**

اننا نفكر فى الجمال حينما نقرر لون جدران المسكن وتناسبه مع الأثاث الذى سنضعه فيه ، كما نعيه عند رسم تخطيطات المدن ، وتنظيم الشوارع وتنسيق الحدائق وغرس الأشجار ، نراه عندما تنظم الكتابة فى صفحة بيضاء ، أو عند تنظيم الأفكار وتسلسلها فى مقال ، فان الجمال ظاهرة أصلية وراء كل الأشياء فى الطبيعة وفيما ينتجه الانسان (٥) ٠

ولكن الملاحظ أن بعض ماهو موجود فى واقعنا لايليق بالوجود الانسانى ٠٠ وحتى يتم للانسان ادراك ذلك ، لابد له أن يدرك معنى القيمة الجمالية ،

وحتى يدرك معنى القيمة يجب أن نوضح له كيف يتذوق ويقدر الفن حتـــى يستطيع أن يميز فى الفن بين الغث والثمين (٦) · ذلك أن الجانب الجمالى وتنميته ضرورى لحياة الانسان فى بيئته ، فهو أساس يجعل من الانسان ذا حس جمالى رفيع الى جانب مايقوم به من أعمال فيكون مرهف الاحساس رقيق المشاعر (٧) ·

ومن ثم ، فان ندرة الاهتمام بالتربية الجمالية تؤدى الى وجود أفراد فاقدين للحس الجمالى ، ولذلك فستحاول هذه الدراسة القاء الضوء على الخبرة الجمالية عند جون ديوى ومكانتها فى فلسفته ، حيث أنه من أبرز الفلاسفة والمربين المحدثين الذين يعطون للخبرة مكانة رئيسية فى فلسفاتهم، أملا فى تحسين الواقع الذى نعيشه والذى طغت فيه المادة وسيطرت علـــى تصرفاتنا ·

**تساؤلات الدراسة :**

تسعى الدراسة الحالية الى محاولة الاجابة عن التساؤلات التالية :

١ ـ ماذا يعنى جون ديوى بالتربية الجمالية ؟

٢ ـ ما أهمية التربية الجمالية عند جون ديوى ؟

٣ ـ الى أى حد يمكن أن تستفيد التربية بآراء جون ديوى عن التربية الجمالية ؟

**أهداف الدراسة :**

تهدف الدراسة الى تحديد مفهوم التربية الجمالية عند جون ديوى ثم بيان أهداف التربية الجمالية عنده ، وأخيرا ابراز كيفية الاستفادة من بعض آراء جون ديوى عن التربية الجمالية فى التربية ·

**أهمية الدراسة :**

تحاول الدراسة القاء الضوء على بعد هام من أبعاد شخصية الانسان الا وهو البعد الجمالى من خلال آراء أحد المفكرين المحدثين وبذلك نوجه نظر المؤسسات التعليمية لأن تهتم بالجانب الجمالى التربوى بالمرحلة الأولى فى

بناء المجتمع فهى التربة الخصبة التى تنمو فيها بذور هذا الجمال لتتأكد مع ملامح الشخصية المصرية ومستفيدة من آراء هؤلاء المفكرين ٠

**منهج الدراسة :**

الأسلوب المتبع فى دراسة هذا الموضوع هو أسلوب التحليل الفلسفى، وذلك عن طريق استقراء آراء هذا المربى كما وردت فى كتاباته وفى بعض الكتب الأخرى التى تحدثت عنه وعن فكره التربوى ٠

**أولا مفهوم التربية الجمالية عند جون ديوى :**

لكى نصل لمفهوم أو معنى التربية الجمالية عند جون ديوى لابد أن نستعرض أولا معنى الجمال والخبرة الجمالية وسماتها ، وذلك هو ماسنتعرض له فى السطور التالية ٠

**مفهوم الجمال :** تؤكد الملاحظة أن الانسان ذواق للجمال فى أى زمان، ومكان ، والشواهد التاريخية شاهدة على ذلك ٠ وأن هذا الواقع الـذى نحياه ، وكذلك سعى الانسان الدائب للبحث عن الجمال والاحساس ، والمتعة الجمالية غير المرتبطة بحل مشكلة أو منفعة على مستوى الوعى ، كلهـا تؤكد ذلك (٨) ٠ ويقول جون ديوى «ان الجمال لفظ عاطفى ، وان كان يشير الى عاطفة من نوع خاص ٠ وآية ذلك أننا حينما نجد أنفسنا بازاء منظـر أو قصيدة أو لوحة تستأثر باعجابنا أو تستولى على مجامع قلوبنا ، فاننـا نجد أنفسنا مدفوعين الى أن نهمس أو نهتف قائلين : كم هى جميلة!» (٩) ٠

**مفهوم الخبرة الجمالية ومعاييرها :** تمثل الخبرة التربوية فى الفكـر التربوى الحديث ركيزة أساسية فى بناء العملية التربوية بمراحل التعليـم المختلفة ٠ وهى فى مفهومها تختلف اختلافا واضحا عن الخبرة فى مفهومها القديم ، فهى عند المفكرين التقدميين أساس النشاط الانسانى وأساس النمو، ولها نوع من القوة الذاتية ، وتكتسب من الحاضر لأهميتها فى المستقبل، وهى كذلك تمثل وحدة السلوك ٠ وذلك على عكس ما كان مفهوما عنها من حيث ان العقل ينظمها وينتج عنها مهارة بالمحاولة والخطأ ٠ أما الخبـرة الحديثة فيدخل فيها عنصر التفكير (١٠) ٠

ويعتبر جون ديوى أن الخبرة ماهى الا الحياة الانسانية بأكملهـــا وتشمل كل العمليات المتداخلة التى تحدث بين الكائنات الحية بعضها مـع البعض الآخر والبيئة الطبيعية والاجتماعية المحيطة بها (١١) ٠

ومفهوم الخبرة من المصطلحات التى استخدمها كثير من الفلاسفة ٠ ولعل جون ديوى هو أكثر الفلاسفة المعاصرين استخداما لهذا المفهوم ، بل ويجعل منه أساس التربية ٠ واذا كانت الخبرة الجمالية ليست الا نوعا واحدا من بين نوعية عامة من الخبرات ، واذا كانت الخبرة الجمالية هى الخبرة فى أعلى درجات رقيها واتساقها ، فانه لايمكن معرفة الأعلى الا مرورا بالأدنى، ولذا فانه لاسبيل الى فهم الخبرة الجمالية عند ديوى الا على ضوء فهم الخبرة فى درجة من درجات وجودها الواضح الذى لم يتعقد بعد بدرجات عليـــا من الرقى ٠

والمستوى الواضح من الخبرة هو الخبرة كما تتجلى فى الموقف المعرفى ويحدد ديوى الخبرة فى هذا المستوى بأن يبدأ أولا برفض التصور التقليدى للمعرفة بأنها موقف لقاء أو مواجهة بين ذات وموضوع ، فالمعرفة ليسـت مجابهة ذات بموضوع وانما هى بالأحرى تتصف بأنها غير محددة واشكالية الطابع ٠ ومن ثم تكون المعرفة هى تغيير وتحويل موقف كهذا الى موقف يتسم بالاتساق والتحدد (١٢) ٠

وعلى ذلك ، فان كل خبرة لابد أن تشتمل على العناصر الآتية :

١ ـ كائن حى ٠
٢ ـ موقف اشكالى غير محدد ٠

وبالنظر الى هذا العنصر الثانى المكون للخبرة ، نجد أنه لايمكن عزل الخبرة عن السعى الى اعادة بناء الموقف من جديد ، والعمل على حله ٠ ومن هنا ، يظهر عنصر ثالث هام فى بناء الخبرة وهو «العمل على اعادة بناء الموقف » ولما كان عنصر اعادة بناء الموقف عنصرا لصيقا بكل خبرة ، اذ لا خبرة تخلو منه ، فان جون ديوى يعرف الخبرة بأنها موقف اشكالى يعترض الكائن الحى ويبعث فيه رغبة البحث عن حل يسترد به تكيفه مع الوجود من حوله (١٣) ٠

وينظر جون ديوى الى التربية على أنها عملية تجديد بناء الخبرة خبرة الفرد وخبرة المجتمع · والواقع أن هذه النظرة تتمشى مع نظرية النمو الطبيعى والاجتماعى ، فالتربية حسب هذه النظرية عبارة عن سلسلة خبرات تؤدى كل خبرة الى أخرى ، فتتسع ارتباطات واتصالات الفرد بالمحيط وتنمو ثروة المعانى عند الفرد ، معانى الأشياء والظواهر الطبيعية التى يختبرها الانسان ، وبذلك يكتسب الفرد سيطرة وقدرة فى توجيه الأمور فيكيف ما حوله وفقا لاحتياجاته ، كما أنه هو نفسه يتكيف وفق ما يحيط به (١٤) ·

ولكننا نلاحظ أن ديوى يرفض أن تكون التربية علما على أساس من تراث الماضى ، أو أن تكون عدة للمستقبل · وليس هذا من الواقع فى شىء لأن تراث الماضى جزء من شخصية الفرد ، كما أنه جزء من شخصية الأمة، وهناك أمور لابد أن يتعلمها الفرد أو تفرض عليه فرضا لأنها من جملة الحياة، كما أن الاعتماد على قوة الرغبة ، وعلى الميول الطبيعية فى كسب الخبرة ، اضعاف لمستوى التعليم · وهذا لايمنع أننا حين نربيه ونعلمه ندخل فى حسابنا أبعاده النفسية من رغبات وميول وعواطف وحاجات ، فالانسان لايربى نفسه بنفسه عن طريق الخبرة ، وانما هو يربى ويعد ليكون فردا صالحا ومتكيفا فى المجتمع (١٥) ·

فما هى طبيعة هذا التكيف ؟ ان الأساس فى التكيف هو أن يتعدل الفرد أو يتحور ، ذلك أنه مرتبط بأجزاء معينة · وعلى هذا ، فان علاقة التكيف تفترض وجود طرفين : البيئة والكائن الحى ، فأى طرف منهما يتعدل أو يتغير ؟ يرى ديوى أنه يتعين على الطرفين ان يخضعا لعملية التحور والتغير · فالتكيف اذن اجراء يستدعى عمليتين احداهما خارجية تستهدف البيئة والأخرى داخلية تستهدف داخل الانسان · واذا كان التكيف معناه أن يتعدل الفرد أو يتحور ، فما هى ضوابط هذا التعديل ؟ ان هذه الضوابط فى نظر ديوى أنما تتحدد فى أهداف العمل وفاعليته وقدرته على استمرار لكائن الحى وعلى اسعاده ، فكل مايحدث أو يؤدى الى استمرار الكائن واسعاده هو التكيف · ولكن ماهى أدوات التكيف ؟ وبماذا نحور أو نعدل ؟ يجيب ديوى فيقول : ان أفكارنا هى وسائلنا لتحقيق التكيف · وعن طريق الأفكار تتحول الفكرة الى أداة تعيد تنظيم الوسط المحيط أى أن الأفكار وسيلة لأن تعيد الخبرة

وحدتها واتساقها وقوتها ، ويكون دورها كذلك وظيفيا ، فهى تنقل الخبـرة المتصارعة المفككة الى خبرة موحدة متكاملة (١٦) · وبالتالى ، فان الأساس عند جون ديوى ليس الخبرة ولكن فكرة التكيف · فما هى الخبرة الجمالية اذن ؟

يقول جون ديوى : ان الخبرة الجمالية تضفى على مجموعة من الأفعال والاحساسات والأفكار المتناثرة وحدة واتساقا ، ففى كل خبرة عقلية أو عمل يقوم به الانسان جانب جمالى يرجع الى الانسان والنظام والترابط بيـن أجزائه (١٧)

ان الخبرة الجمالية ، مثلها فى ذلك مثل جميع الخبرات الانسانية ، هى تفاعل بين الكائن الحى وبين بيئته · ومن هنا ، فاننا لانجد حدا فاصلا قاطعا بين الخبرة الجمالية وغيرها من أنواع الخبرات الأخرى ، فالأنماط التوقيعية للتغير والراحة فى الطبيعة وفى جسم الانسان هى جذور الخبرة الجمالية توجد جراثيمها فى الخبرة العادية حيث يكون هناك عمل منظم أو ادراك لقيمة العمل (١٨) · ويؤكد جون ديوى ذلك بقوله : «ان للمفكر لحظته الجمالية ، وهى تلك اللحظة التى لاتظل فيها أفكاره مجرد أفكار بل تستحيل الى معان أو دلالات مندمجة فى صميم الموضوعات · وكذلك الفنان يقـوم بعملية فكرية ربما لاتقل عن تلك التى يقوم بها الباحث العلمى · ونجد أن الفنان يحقق فكره فى صميم الوسائط الكيفية التى يباشر عمله فيها» (١٩) ·

**سمات الخبرة الجمالية عند جون ديوى :**

للخبرة الجمالية سمات متعددة ، هى :

(أ) الاكتمال : ان الفعل المؤدى الى ابداع فنى أو جمالى ، وهـو ما يسميه ديوى بالفعل الجمالى ، لابد من أن تتوافر فيه الأركان الآتية :

- أن يكون فعلا قائما على أساس من اتصال أو احتكاك الفرد ببيئته ·
- أن ينطوى على تفرد أو ابداع متميز فى التعامل مع المواد المحيطة به·
- أن يقوم بعملية تنظيم للمواد والعناصر ·

وذلك يعنى ضرورة امتلاك أى خبرة سواء أكانت خبرة ذهنية أمخبرة

عملية لتلك العناصر حتى تكون هى نفسها تامة مكتملة · وليس هنالك من فارق ، فى نظر جون ديوى ، بين مثل تلك الخبرات وبين الخبرات الجمالية، اللهم الا من حيث المواد أو العناصر المستخدمة فى كل منها ، فكل خبرة ذهنية أو عملية لها طابعها الجمالى ، حيث تملك تكاملا باطنيا واشباعا ذاتيا نصل اليهما بفعل حركة متسقة منظمة ، أما الطابع الجمالى فى الخبرة فانها رهن بابداع جديد (٢٠) ·

فللخبرة السوية بصفة عامة طابع جمالى ، والا لما كان فى الامكان تنظيم عناصرها وصياغة موادها على صورة تجربة موحدة متسقة متماسكة· وليس من الممكن – فى داخل التجربة الحية السوية – فصل العناصر العملية والانفعالية والعقلية بعضها عن بعض بل لابد من اعتبار هذه التجربة كلا موحدا يربط الجانب الانفعالى بين أجزائه ويكشف الجانب العقلى على دلالته · ويوضح الجانب العملى ما هنالك من تفاعل بين صاحب هذه التجربة وبين أحداث البيئة المحيطة به (٢١) ·

**(ب) الاتصال :** ان تنظيم الخبرة عبارة عن تنظيم دينامى لأنه لايتم الا فى زمان ، فهو بمثابة ضرب من النمو أو الترقى · ومعنى هذا أن ثمة بداية وتطورا وتحقيقا واكتمالا · ولابد للمادة من أن تمتص وتهضم من خلال عملية التفاعل مع التنظيم الحيوى لنتائج الخبرات السابقة ، وهو ذلك التنظيم الذى يتكون من عقل الصانع أو العامل (أو الفنان) وتستمر فترة الحضانة حتى يتم اخراج الجنين الى عالم النور · فاذا ما ظهر الوليد الجديد ، أصبح موضوعا قابلا للادراك بوصفه جزءا من العالم الخارجى المشترك ، ولكن المهم هنا أن الخبرة الجمالية لايمكن أن تجسد فى لحظة واحدة ، اللهم الا كما تصل عمليات مستمرة طويلة سابقة الى ذروتها فتتركز فى حركة بارزة تكتسح أو تجرف فى تيارها كل ماعداها حتى يطوى النسيان كل شىء سواها (٢٢) ·

(ج) السمة السائدة : ان لكل خبرة وحدتها التى تخلع عليها اسمها الخاص ، ووجود هذه الوحدة انما يتكون بفعل الكيفية الفردية التى تدخل فى تكوينها · ولكن هذه الوحدة ليست انفعالية أو عملية أو ذهنية ، فان كل هذه الألفاظ انما تشير الى تمييزات يستطيع الفكر أن يقوم بها ، داخل

تلك الوحدة · وعند استرجاع أية خبرة بعد حدوثها ، فانه لايسعنا سوى أن نعترف بأن هذه الصفة - دون غيرها - كانت غالبة عليها بشكل ظاهر بحيث انها لتسم بطابعها تلك الخبرة ككل ·

**(د) النمو التراكمى** : النمو التراكمى هو نمو المعنى القصدى ونمو الدلالة : ومن هنا فان معنى الدلالة المتناهية المختزنة والمتراكمة المتجهة نحو غاية هى التى يمكن الشعور بها بوصفها تحققا للصيرورة · ففى العمل الفنى ، نشاهد أن الأفعال والأحداث والملابسات المختلفة لابد من أن تمتزج وتنصهر جميعا لتكون وحدة واحدة ، ولكننا نلاحظ مع ذلك أنها لاتختفى أو تفقد طابعها الخاص حين تفعل ذلك ، بل ربما كانت الحال هنا كالحال فى الحوار الودى ، فان هاهنا تبادلا مستمرا واختلاطا متواصلا ، وان كان كل متحدث مع ذلك يظل محتفظا بطابعه الخاص ان لم نقل أن هذا الطابع يتبدى بصورة أوضح مما هو فى العادة (٢٣) ·

ان الخبرة عند جون ديوى لاتعنى مجرد الخروج من دائرة الأحاسيس الشخصية والانفعالات الفردية ، من أجل الامتداد نحو عالم الأشياء والموضوعات والأحداث الخارجية · بل هى تعنى أيضا حدوث ضرب من التوازن بين طاقات الانسان من جهة وبين الظروف الحيوية التى تحيط به من جهة أخرى ، بحيث ينشأ من هذا التوازن اشباع يكفل لصاحبه ضربا من اللذة أو الشعور بالرضا · والواقع أن الخبرة حين تفضى الى خفض التوتر نتيجة للاشباع ، فانها انما تنطوى على ضرب من الايقاع ، وبالتالى فانها تؤدى فى خاتمة المطاف الى تزويدنا باحساس جمالى هو الشعور الحسى المتسامى الى درجة النشوة ، أو ان شئت قل التقدير الجمالى ، ولكنه فى طبيعته يشبه أى لذة أخرى نتذوق على أساس منها أى موضوع عادى من موضوعات الحياة الاستهلاكية ، ذلك لأنه ثمرة لضرب من المهارة أو الذكاء فى طريقة تعاملنا مع الأشياء الطبيعية ، بحيث نتمكن من زيادة ألوان الاشباع التى تحققها لنا الأشياء تلقائيا ، فتجعلها أشد وأنقى وأطول · ومعنى هذا أن الخبرة الجمالية لاتخرج عن كونها ترقية طبيعية لتلك الدوافع البشرية التى نستخدمها فى استجاباتنا الطبيعية العادية للبيئة الحيوية التى نعيش بين ظهرانيها · واذا سلمنا برأى جون ديوى ، فسوف يكون علينا عندئذ ألا ننسب الى الخبرة الجمالية أية طبيعة خاصة مميزة بل مجرد فارق كمى

محض يجعل منها نشاطا أقوى أو أشد أو أطول من أى نشاط آخر عادى (٢٤) ٠

**أشكال الخبرة الجمالية :**

درج البعض - فيما يقول ديوى - على التمييز بين الظاهرة الفنية والظاهرة الجمالية على اعتبار أن الأولى تشير الى عملية فعل أو اجراء أو صناعة أو ابداع فى حين تشير الثانية الى عملية ادراك أو تقدير أو تذوق أو استمتاع ٠ فالظاهرة الفنية تعبر عن وجهة نظر المنتج ، فى حين أن الظاهرة الجمالية تعبر عن وجهة نظر المستهلك ٠ ولكن مادامت العلاقة وثيقة بين الفعل والانفعال ، أو بين النشاط الفاعل والنشاط المماثل فى صميم الخبرة، فقد لايكون هناك مبرر للمبالغة فى التمييز بين الفنى والجمالى الى حد اقامة فاصل حاسم بينهما (٢٥) وقد اتفق صمول ألكسندر مع جون ديوى فى هذا الرأى حيث وحد بين عناصر الخبرة الجمالية وردها كلها الى أصل واحد (٢٦) ٠ والواقع أن مايميز الفعل الابداعى فى الفن انما هو ذلك القدر الهائل من الملاحظة ، وذلك النوع الخاص من الذكاء الذى يمارس فى ادراك العلاقات الكيفية ، والواقع أنه ان لم ينجز الفنان منظورا جديدا ، أو اذا لم يحقق رؤية جديدة فى عملية الانتاج التى يقوم بها ، فان فعله عندئذ لن يكون الا مجرد فعل آلى يحاكى فيه نموذجا قديما ثابتا قد انطبع فى ذهنه وكأنه التصميم الهندسى المنقول ٠ وأما حين تجىء خبرة الفنان خبرة متسقة أو متماسكة فى صميم الادراك ، مع اتصافها فى الوقت نفسه بطابع حركى يخلع على تطورها صورة التغير المتصل المستمر ، فهنالك ، وهنالك فقط ، يكون لهذه الخبرة طابع جمالى (٢٧) ٠

وكذلك ، فاننا لانستطيع فيما يختص بالعمل الفنى الابداعى أن نقول أنه نتيجة الهام فقط ، بل لابد من فترة تحضير تسبقه يتشبع فيها الذهن وتتشبع فيها العواطف والأحاسيس بكل مايدور حول المشكلة بحيث يؤدى هذا كله الى مرحلة انطلاق يحسبه الفنان الهاما ، ولكنه فى الواقع نتيجة ، لما سبق من تركيز واهتمام ٠ واذا استعرضنا حياة العباقرة الذين أضافوا الى التراث الانسانى الآيات الخالدة لألفيناهم جميعا من ذوى الثقافات الأدبية والعملية والفلسفية الواسعة ، ذلك أن الدوافع الوجدانية والأخيلة الرائعة لاتتحقق فى تعبير رائع ولا تنسجم فى صيغة خالدة الا بفضل التحصيل

الطويل والتفكير الشاق · وبذلك يكون الالهام مرتبطا بالخبرة ارتباطا كبيرا · ومن هنا كانت أهمية التربية الجمالية التى لابد منها لكى تهيىء الخبـرات اللازمة لأصحاب القدرات المختلفة حتى يستطيعوا أن يصلوا الى التعبيـــر الجمالى تعبيرا عميقا متصلا ، فالالهام كما قلنا لابد له من تراكم طويـــل فى الخبرات ولابد له من تفكير شاق (٢٨) ·

والواقع أنه لابد للناظر ـ اذا أراد أن يدرك بحق ـ أن يقوم بعملية خلق أو ابداع لخبرته الخاصة · ويقول جون ديوى «لابد لمثل هذا الابداع مـــن أن يجىء متضمنا لبعض العلاقات المشابهة لتلك التى عاناها الفنان (أو المنتج الأصلى) · حقا ان هذه العلاقات لن تكون هى بحذافيرها ، ولكـــن لابد للمتذوق على أية حال أن ينظم عناصر الكل تنظيما يشبه فى شكله العام (لا فى تفاصيله) عملية التنظيم العضوى التى اختبرها الخالق للعمل الفنى اختبارا شعوريا ، ومعنى هذا أنه ليس من الممكن (دون عملية اعادة الخلق أو التجديد) أن يدرك الموضوع بوصفه عملا فنيا ، واذا كان الفنان قد تخير وبسط وأوضح واختصر ، وركز وفقا لنوع اهتمامه ، فانه لابد للناظر أيضا أن يمر بنفس هذه العمليات وفقا لوجهة نظره ونوع اهتمامه ـ وهذا هـو السبب فى أن كلا منهما فى حاجة دائمة الى القيام بعملية تجريد · لأن من الضرورى لكل منهما أن يقوم باستخلاص مايراه هاما أو انتزاع ما يعتبره ذا دلالة · ولابد لكل منهما أيضا من أن يقوم بعملية تضمين واستيعاب يضم فيها شتى التفاصيل والجزئيات المادية المشتقة بعضها الى البعض الآخـــر بحيث يؤلف منها وحدة تصلح لأن تكون موضوعا للخبرة · وتبعا لذلك ، فان ثمة عملا يؤدى من جانب المدرك أو المتذوق ، كما أن هناك عملا يـؤدى من جانب الفنان أو المنتج (٢٩) ·

ومهما تختلف الآراء فى تحديد معنى الخبرة الجمالية · فلاشك أن الفن يكشف القيم الجمالية ـ وهو وسيلتنا لوضع معايير لهذه القيم · والفن له اتصال وثيق بالحياة ، فنحن لانرى أنه منعزل عما نفعله ونتذوقه فى حياتنا اليومية ، فالاحساس بالجمال استعداد متوافر لدى الناس بدرجات متفاوتة ، يطبقونه فى كل مايقع تحت حسهم فى الحياة العادية · وكثيرا ماتوقعنا ظروف الحياة من ادراك الجانب الجمالى لخبراتنا ، فنجد أن فردا ينظر للسلع من زواياها النفعية دون أن يستمتع بجانبها الجمالى وادراكه ·

وذلك بينما يتأملها آخر من الوجهة الجمالية من ناحية علاقاتها وخطوطها وصياغتها ثم وظيفتها ، فالناحية الجمالية تختلف وتزداد تبعا العين التى تراها وكل رؤية فريدة فى نوعها هى التى تجمع بين الشقين الوظيفى والجمالى، كما أن ادراك الجمال يخضع للدراسة والتحليل · لكن الأعمال الأدبيـــة والشعرية والموسيقية تحتاج الى قسط من التعليم لتذوقها والاستمتاع بها · فالرؤية انما تعنى التعرف والادراك · ولكن لكى تحول الى احســـاس بالعلاقات الجمالية والقيم الفنية ، فان هذا يتطلب الدراسة والتدريب ودوام التقصى والممارسة الجادة المطردة (٣٠) ·

ان التذوق الجمالى لدى الانسان يفتح أمامه آفاقا رحيبة من المتعة ، فضلا عن التوازن فى حساسيته وفى قدرته على العمل وفى مواجهـــة صعوبات الحياة وتخطيها · ولكن الملاحظ أن الجوانب الذاتية فى الانسان، وتتمثل فى الخيال والعاطفة ، والتى تتيح له التذوق الجمالى ، قد أهملت تنميتها · كما أن نظرة الفرد الى المرئيات وتذوقه للعلاقة الجمالية التـــى تقوم عليها ، يعد عاملا من العوامل الهامة فى تكوينه · ومن هـــذه الناحية ، فان هذا العامل يؤثر فى سلوكه ويمكن أن يجعل هذا السلوك أكثر تكاملا · وقد يرق هذا التذوق الجمالى بالتربية والتنمية ويصبح أسلوبا من أساليب معالجة الشخص لكل مايقع تحت حسه ويديه (٣١) ·

ويمكن القول أن التربية الجمالية عند جون ديوى ترمى الى انماء عاطفة الجمال الكامنة فى النفس ، وذلك عن طريق تقديرنا وانتاجنا للجمال لأن التربية الجمالية فضلا عن تنميتها القدرة على تقدير الجمال تعمل علـى تشجيع الأفراد على الابتكار والابداع شريطة أن يتوفر فيهم هذا الاستعداد·

## ثانيا أهمية التربية الجمالية عند جون ديوى

التربية الجمالية تعمل على :

### (أ) تنمية الشخصية المتكاملة المتوازنة

للتربية الجمالية دورها الفعال فى الارتقاء بالأعمال الفنية وبالمخبرة الجمالية لدى الأفراد ، فالتربية الجمالية تساعد على نمو الشخصية الانسانية

نموا متكاملا من خلال الاندماج فى النشاط البناء الخلاق والاستمتاع به ، وكذلك من خلال غرس وتنمية قيم واتجاهات انسانية تتصل بتنمية العاطفة والوجدان والمعرفة الحسية وتدريب الحواس والتعبير عن النفس وانفعالاتها وكذلك التوحيد بين المشاعر من أجل التماسك الاجتماعى واكتساب المهارات والمعلومات المختلفة ، ذلك أن الخبرة الفنية أو الجمالية تشمل عملية تفكير خلاق ، ولايصل الفنان الى هذه الخبرة عن طريق الالهام فقط وانما عن طريق خبرته السابقة وتجاربه المتعددة وقراءاته وتأملاته · فالعمل الفنى يلزمه فترة تحضير تسبقه يتشبع فيها كل من العقل والعاطفة والأحاسيس بكل مايتصل بالشكل الفنى ، بحيث يؤدى ذلك كله الى مرحلة انطلاق يظنه الفنان الهاما ، ولكنه نتيجة مترتبة على التراكمات الكمية والكيفية التى انطوت عليها التركيز والاهتمام التى سبقته (٣٢) ·

وقد قال روسو فى هذا الصدد «ان الغرض الأساسى من تربية اميل هو أن أعلمه كيف يشعر ويحب الجمال فى كل أشكاله ، وأن أثبت عواطفة وأذواقه وأن أمنع شهواته من التردى الى الخبيث والرذيلة ، فاذا تم ذلك وجد اميل طريقة الى السعادة ممهدا» (٣٣) ·

وأشار هربرت ريد الى ضرورة تربية الحواس باللفظ «الشعر والأدب»، والسمع «الموسيقى» ، والرقص «الحركة والعضلات» ، والتربية البصرية «الرؤية واللمس» ، ذلك لأنها معا تكون المعرفة المتكاملة بالحقيقة ، وهو نوع من التربية يجب أن نسميه التربية الجمالية ، أى تربية الحواس معا (٣٤) ·

لكن كلا من ن·ك كرابسكايا وأ·ف لوناتشارسكى وأ·س ماكارينكو يرون فى التربية الجمالية جانبا معزولا عن جوانب العمل بين الأطفال ، فالتربية الجمالية عندهم عملية متصلة اتصالا لاينفصم عراه بالتعليم الأيديولوجى والسياسى ، وبالتعليم من أجل العمل ، أو التعليم الأخلاقى والتربية البدنية للشباب (٣٥) ·

ولانعرف فيلسوفا نجح مثلما نجح جون ديوى فى هذا الصدد ، أى فى تأكيد وحدة الانسان ووحدة خبراته على تعددها · ولاتعدو فلسفة ديوى كلها أن تكون فلسفة الخبرة ، أى الفلسفة التى تؤكد تكامل الخبرة وكليتها

واتصالها وتؤكد ضرورة النظر الى مفهوم الخبرة نظرة متطورة فى اطار ديمقراطى اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا · فها هو ديوى يؤكد العلاقة بين الحواس والعقل ويرى أن العقل أى - التفكير - هو الوسيلة التى أصبح بها مشاركة الكائن الحى فى أحداث العالم المحيطة به - عن طريق الحواس - ذات معنى ، انه الوسيلة التى يستخلص بها المعانى والقيم ويحول بهـا الأشياء الى موضوعات مشحونة بالدلالات والمعانى · فالعقل هنا لم يعد شيئا يتخطى الخبرة ويتعداها بعيدا ومعزولا عنها · انما أصبح العقل هو التفكير الذى تتعدل به الخبرات الماضية وتضبط به الخبرات الحاضرة · لقد أصبح التفكير شيئا أصيلا فى الخبرة والعامل الموجه لمجراها وها هو يربط كذلك بين الجوانب العقلية والانفعالية والعملية فى الخبرة ، فيؤكد أن الجانب الانفعالى هو ذلك الذى يربط الخبرة الحية فى كل واحد وسياق واحد، وأن العقلى هو ذلك الذى يعطى للخبرة معنى ويؤكد مافيها من علاقـات وارتباطات ، والعملى هو الذى يبرز لنا أن الكائن فى حالة تفاعل مع لأحداث والموضوعات التى تحيط به ، ويربط ديوى كذلك بين الناحية الجمالية والفكرية والخلقية فى الخبرة ويرى أن هذه الجوانب كلها متضمنة فى خبرات الحياة اليومية فتراه دائما ينتقد ذلك الاتجاه الذى ينتزع من الفنون العملية تلـك القيمة الجمالية والذى يستبعد الخبرة الجمالية من حياة الناس الذيـن لايرتبطون بالفنون الجميلة ارتباطا كبيرا · فالفن عند ديوى متضمن - انتاجا وتذوقا - فى جميع خبرات الحياة · والخبرة التى يسود عليها الجانب الفنى التى نسميها خبرة جمالية هى ، كأى خبرة أخرى ، تعبير عن لتفاعل القائم بين الفنان وعالم الأشياء والأحداث · والفن فى التحليل الأخير ليس الا تعبير الفنان عن الأشياء الموجودة فى الواقع فى صور جديدة يختار فيها الفنان عوامل جديدة ويبرز فيها جوانب معينة ويضعها معا فى علاقات جديدة ، وهو بذلك يبرز مواقف الحياة فى صور أكمل وأوضح مما تقدمه هذه المواقف اليومية وفى صور أكثر غناء وتنوعا وجاذبية ودرامية من خبراتنا بالأشياء التى تبعثرها الطبيعة من حولنا بصور عشوائية (٣٦) ·

**(ب) تنمية الأخـلاق :**

كان اليونانيون يوحدون بين السلوك والخير والسلوك المتصف بالتناسب والحسن والانسجام ، فكانت فكرة «الجمال - الخير» دليلا واضحا علـى

امكـان اتصـاف الفعل الخلقى بصفة جمالية متمايزة ، وقد عـــالج أفلاطون عدة تعريفات للجميل فى محاوراته مع هيباس نذكر منها هذا التعريف: «الجميل هو المساعد الذى يقود الى الخير » ٠

وربما كان من أكبر عيوب الأخلاق التى نعترف بها اليوم أنها مفتقرة تماما الى كل صبغة جمالية ٠ ويعلق جون ديوى على ذلك بقوله : «وآية ذلك أن هذه الأخلاق لاتقدم لنا أى مثال للفعل المخلص الصادر عن أعمـــاق القلب» ٠

ويؤكد جون ديوى العلاقة الوثيقة بين الفنون والأخلاق فيقول : «ان الفن قد يكون أشد اتصافا بالصفة الأخلاقية من الكثير من مظاهر السلوك الأخلاقى ، وآية ذلك أن الأخلاقيات السائدة انما هى تميل بكل تأكيد الى أن تصبح بمثابة اثبات للحالة الراهنة أو هى انعكاسات للعرف الاجتماعى أو تدعيم للنظام القائم ٠ ولقد كان كل أنبياء الأخلاق الذين عرفتهم البشريـــة شعراء ٠ ومن هنا ، فقد أصبح الفن بمثابة وسيلة لاستبقاء الاحســـاس بالغايات التى تتجاوز الحقائق البينة» (٣٧) ٠

وقد أبقى أفلاطون الشاعر فى مدينته ، وجعل له وظيفة تهذيبية تربوية، وبحكم مران الشاعر فى تذوق مثال الجمال والاستلهام منه يمكن للشاعر أن يساعد فى انشاء دولة أفلاطون المثالية (٣٨) ٠

ويقول ديكارت فى هذا الصدد «لاشىء بجميل الا الحق » (٣٩) ٠

وقد أشار هورن أيضا الى أن عدم العمل على تذوق الجمال واهمال تربية عاطفة الجمال لهو فقدان للسعادة ذاتها ـ على أن ذلك الاهمـــال قد أدى الى أن تخبو شعلة الذكاء والى أن يلحق بالأخلاق ضرر بالغ (٤٠)٠

ولكن هذا ، يمكن القول أن التربية الجمالية تتصل بالتربية الأخلاقية، فالفرد الذى تبلورت فى ذهنه العاطفة الجمالية يتطلع الى مثالية سامية (مثالية الحق والخير والجمال) فيصور الفضيلة فى شكل جذاب يناسب أن يصير خلقا فيه ، يصور الرذيلة فى شكل قبيح لايستسيغ التخلق به ٠

**(ج) تنمية القدرة على التذوق الجمالى واكتشاف الميول والمهـارات الفنية :**

ان كل فرد يجلب معه - حين يمارس فرديته - طريقة خاصة فى الرؤية والاحساس يكون من شأنها ، حين تتفاعل مع العناصر المادية القديمة ، أن تخلق شيئا جديدا ، لم يكن له أدنى وجود من قبل فى صميم تجربة وتربية جمالية تعمل على تنمية القدرة على التذوق الجمالى لدى الفرد من حيث تعويده على الكيفية التى يرى بها الأشياء · وهذا ما أكده جون ديوى حيث رأى أن هناك اعتبارات تصدق على المتأمل · ففى حالة الشخص الذى يرى اللوحة بحق أو يسمع الموسيقى بالفعل ، لابد من توافر مسالك جانبية غير مباشرة للاستجابة تكون مهيأة أو معدة من ذى قبل ، وهذا الاستعداد الحركى يمثل جانبا كبيرا من التربية الجمالية فى أى مجال خاص من المجالات · ومعنى هذا أنه لابد للمرء من أن يعرف ماينبغى له أن يتطلع اليه ، والى أى نحو ينبغى له أن يراه ، فان هذه المعرفة هى ضرب من الاستعداد الضرورى من جانب الجهاز الحركى · ولذلك ، فان من الضرورى أن تكون لدى الفرد مسالك استجابة حركية محددة من قبل · وهذه الاستجابة ترجع فى جانب منها الى التكوين الفطرى ، وفى الجانب الآخر الى التربية من خلال الخبرة، فالمتأمل قد يدرك العمل الفنى بطريقة أكاديمية أو تعليمية أو بطريقة عاطفية، أو يدركه بطريقة جمالية قد يكون مضمونها المادى الجوهرى (أو مادتها) شيئا جديدا · وقال جون ديوى أيضا أنه لابد للمتذوق من أن ينظم عناصر الكل تنظيما يشبه فى صورته عملية التنظيم العضوى التى اختبرها الخالق للعمل الفنى اختبارا شعوريا · ولذلك لابد من مران أو تمرس · والى جانب هذا ، فان التربية الجمالية تهدف الى فهم الفنون وتذوقها والى الاستمتاع بها · وبالاضافة الى ذلك ، فان التربية الجمالية تهدف الى اكتشاف ميول الفرد واهتماماته ومهاراته الفنية وتنميتها (٤١) ·

ويمكن القول أن جون ديوى ، بانتباهه الى أهمية التربية الجماليـة للمرء ، أراد أن يلقى الضوء على أهمية الوعى الجمالى · ويمثل ذلك فى انتشار الثقافة الفنية لدى المجتمع سواء بازدياد عدد الفنانين المتخصصين الذين يقع على كواهلهم تكوين وبناء ذات التراث الحضارى الانسانى من لوحات وتماثيل أو بارتفاع مستوى الذوق لدى أكبر عدد من أفراد المجتمع ·

ولكن ذلك لن يكون الا عن طريق الممارسة والتهذيب الفنى القائم على المشاهدة والتأمل حتى يستطيعوا استيعاب مواطن الجمال فى كل من الطبيعة والعمل الفنى · والواقع أنه يمكن للمشاهد الذواقة أن يتتبع أسلوب التخطيط حتى تكون الخطوط متناغمة ، وحتى يمكن تحديد المساحات التى تستمد الأشكال منها قوامها فى لوحة الفنان المصور ، ويتتبع ماتتضمنه استخدام الألوان ، ومايمكن أن ينطوى عليه النسيج اللونى من غنائية وانسجام ، اذ أن ذيوع هذه الثقافة وانتشارها ومبلغ عمقها فى أحاسيس الشعب يكون على قدر تسامى الذوق وارتفاع الوعى الفنى (٤٢) ·

وفى الواقع ، معيار الذوق السليم لايمكن أن ينحو نحو الموضوعية الخالصة ، كما يقول الكسندر بيليك «ان مايعنينا فى الادراك الجمالى هو الموضوع نفسه بغض النظر عن قدرته على اشباع حاجة » · كما لايمكن أن ينحو الذوق السليم ناحية الذاتية المتطرفة ، فيرى كانط أن الجميل ليس سوى فكرتنا نحن ، فهو ليس له وجود مستقل خارج فكرتنا عنه لأنه ليس سوى تابع لأفكارنا (٤٣) ·

وبناء على ذلك فان الحكم الجمالى على الأشياء الجميلة يتطلب وعيا من قبل الذات المدركة للجمال والشىء الجميل ذاته ، وبتفاعل الذات بالموضوع الجميل · وبمقارنته بأنواع الجمال الأخرى نستطيع أن نحدد ان كان هذا الشىء ممدوحا أو مذموما ــ من الوجهة الجمالية ــ وندرك بالتالى الجمال · والوعى الجمالى للذات المدركة يكون ممثلا فى خبرتها الجمالية والتى يعرفها لنا د· زكريا ابراهيم بأنها بحث مستمر واكتشاف دائب لها ، بل ويكون ماثلا أمامنا دائما بوصفه حقيقة جاهزة قد تم العثور عليها ، ويكون ماثلا أمامنا دائما بوصفه شيئا يمكن العثور عليه ، أو حقيقة غامضة مازال علينا فض أسرارها ، فالجمال ليس ذاتيا محضا ولا موضوعيا محضا لكنه مزاج تآلف من الذاتية والموضوعية فالجمال يوجد وجودا موضوعيا فى أشياء ذات طبيعة واقعية ، ولكننا كذوات نتذوقه ونضفى على موضوعيته عناصر من خيالاتنا وأفكارنا وميولنا الذاتية البحتة (٤٤) ·

ومن ثم ، فانه لكى تستقيم أحكامنا الجمالية وتقوم بدورها فى ابراز الجوانب الجمالية ، ينبغى توافر ثلاثة أمور هامة هى :

(أ) الصفات الجمالية التى تحدد وجود الجمال فى موضوع ما ٠
(ب) الذات المدركة (المتأمل - المتذوق) ٠
(ج) المعايير والقيم الاجتماعية التى يفرضها المجتمع على الانسان ٠

فتكون النتيجة أن يصبح الحكم الجمالى هو ثمرة طبيعية لذوق وفن واتجاه مجتمع ما ، فالفرد يستوعب الجمال ويحس به من خلال معاييره الاجتماعية ٠ وهنا ، فان علم الجمال يندرج ضمن فلسفة القيم من حيث أنه لايقف عند حد البحث الميتافيزيقى الصورى فى حقيقة وجود الجمال كموضوع أو البحث السيكولوجى فى الاحساس والانفعال الانسانى بالجمال ، ولكنه يسارع بالدخول فى مبحث القيم التى يلتزم بها الانسان فى مجتمع ما فيصبح الفن وليد المجتمع وخاضعا بالضرورة للتنظيم الاجتماعى (٤٥) ٠

وتتدخل التربية الجمالية كعامل له أهمية فى صقل الذوق ، فيظهرنوعمن التقارب الاعجابى حول سمات معينة فى بيئة بعينها أو لدى شعب معين وفى زمان معين وفى ظل حضارة ذات طابع معين ٠ ولعل الطرز الفنية خير دليل على هذا الرأى الذى يؤكد أهمية التربية الجمالية ودورها الذى يقضى على التشتت غير الملتئم والتباين الصارخ بين الأذواق والمشاعر الفردية ، الا فى حالات ظهور موجات وتيارات فنية جديدة تتحدى القديم وتحاول القضاء عليه جذريا ، وحينئذ يحدث التناقض والصدام بين أصحاب الجديد من ناحية والتقليديين المحافظين من ناحية أخرى ، حيث يعمد هؤلاء للقضاء على النزعات والبدع الجديدة ٠ ولاتلبث الموجه الجديدة أن تأخذ طريقها الى الاستقرار والقبول ، وحينئذ تتقارب الأذواق ويتلاشى التشتت الصارخ وينتهى الصراع (٤٦) ٠

والمران فى ادراك الجمال ليس مطلوبا فحسب فى مجال التذوق بل هو مطلوب أيضا من جانب المبدع ٠ ولما كان الجنون يلهم الانسان من خلال رؤية الجمال فى هذا العالم الأدنى فان الجمال الحقيقى للعالم العلوى يعاد الى ذاكرته حتى يبدأ فيستعيد ريشه ٠ ثم انه وهو يشعر بأجنحة جديدة ، يتوق الى الملأ الأعلى المطلق ٠ والفنان اذا أحرز المعرفة بالجمال المطلق ، أمكنه أن ينقله الى فنه ، ومن ثم فانه يساعد الناس فى تذوق الجمال ٠٠ وهذا الجمال المطلق قد وصفه أفلاطون بالحق والخير (٤٧) ٠

ونصل فى النهاية الى أنه ليس ثمة فرق فى النوع عند جون ديوى بين الادراك الجمالى والخلق الجمالى - فكل منهما ظل للآخر · والمشاهد ، باستلهامه للعمل الفنى ، يكشف عن عقل المبدع ·

فالشخص الذى تعلم كيف يدرك أو يتذوق بطريقة جمالية ، انما هو ذلك الذى يبارى الفنان نفسه فى القيام بهذه العملية · أما كل ماعداها من الناس، فانهم يحملون فى تضاعيف رؤيتهم للوحات وسماعهم للموسيقى أفكـــارا مسبقة يستمدونها من مصادر تعطل الادراك الجمالى وتبعث فيه الاضطراب والاختلاط ·

واذا كان المتذوق يضع اضافات وتفسيرات على الكيان المادى للعمل الفنى · فان فكرة الاضافات وتفسيرات المتذوق لاتفهم ولاتصبح مقنعـــة الا بفكرة أخرى عند صمويل الكسندر هى فكرة أن العمل الفنى يرجـــع المتذوق الى عقل الفنان ، فالمتذوق يتخيل نفسه وهو يبدع العمل ، ومن ثم فانه يستطيع تذوقه · ونجد أن جون ديوى قد أشار الى هذا فهو يقـول : «لابد للناظر ، اذا أراد أن يدرك بحق ، أن يقوم بعملية خلق أو ابداع لخبرته الخاصة ، ولابد لمثل هذا الابداع من أن يجىء متضمنا لبعض العلاقـــات المشابهة لتلك التى عاناها الفنان أو المنتج الأصلى» (٤٨) ·

### (د) الاستمتاع والتسلية وشغل أوقات الفراغ :

يعتقد جون ديوى أنه اذا ما صاحب عملية التعلم ابتهاج وسرور ، فان التعلم يصبح أكثر سهولة وأكثر بقاء ، فمثلا اذا كان هناك نشاط بدنى يصحب عملية التعلم فان هذا يقابل احتياجا ونزعة طبيعية للفرد ألا وهى الحـركة واللعب ، وهناك اتجاه قوى لدى التجريبيين يتمثل فى الاهتمام بالفنـــون اليدوية ، وقد اقترح ديوى أن يرتبط الدافع الحركى بأهداف اجتماعية تتمثل فى الرحلات الخلوية وفى تنسيق الحدائق والطهى والحياكة والرسم والطباعة وتجليد الكتب والنحت والغناء والتمثيل والكتابة والقراءة ويتحتم أن يتضمنها المنهج المدرسى · وينادى ديوى بتغير اسم الترويح الى التربية الترويحية· ويعتقد ديوى أن هذه الخبرات المتمثلة فى النشاطات الترويحية ماهى الا خبرات لها قيمة جوهرية · ويؤكد ديوى أن الطبيعة البشرية فى حاجة الى

الترويح ، كما أنها تجعل من التربية الترويحية أمرا حتميا ولايمكننا بـأى حال من الأحوال تجاهل الترويح كمظهر من مظاهر الحياة الانسانية ٠

ومن هنا ، فان ديوى يعتقد أن أهمية التربية تتلخص فى تهيئة الفرص للتمتع بنشاط ترويحى وأن الفرد يتعلم أين وكيف يستمتع بالترويح (٤٩) ٠

**(هـ) تنمية القدرة على الابداع :**

غالبا مايظهر الالهام عقب فترات الراحة ٠ ويرجع ذلك الى دور الراحة فى تخفيف حدة الانتباه ، وتحرر التفكير من بعض شوائبه وبعض معوقاته٠ وكذلك ، فان تخفيف حدة التركيز أو ارجاءه لفترة ما ، يؤدى الى تفـكك عناصر المشكلة ٠ وبالتالى ، يتمكن العقل من ادراك العلاقة بين عناصرها المفككـة واعطائها دلالة ومعنى جديـدا يسـاعد على اعـادة تجميعهـا وتنظيمها فى كيفية كلية جديدة ٠

وعلى أساس ارتباط الالهام بالخبرة ، فان أهمية التربية الجمالية تبدو واضحة ، ذلك أنها تعمل على اكساب الخبرات اللازمة لذوى القـدرات المختلفة لكى يتمكنوا من القيام بالتعبير الجمالى ، كما أنه لا الهام بـدون تحصيل وتفكير ومعاناة ، وقد نصح ديوى المدرس بقوله : «عليك أن تتاكد يوما بعد يوم من أن أنشطة الأطفال تتجه نحو هذا الهدف أى نحو بلوغ أقصى ماتهفو اليه أنفسهم ٠ والمهمة الناجحة للمدرس تتمثل فى تقديـم خبرات لاتنفر التلميذ بل تشغل نواحى نشاطه ، وأن تكون ممتعة وتساعد التلميذ على اكتساب خبرات جديدة ، وأن تكون ذات نمط متميز وابتكارى فى الخبرات الجديدة لكى تصبح خبرة مربية وكى يتحقق القول بأن التربية نمو للخبرة وبالخبرة ومن أجل الخبرة (٥٠) ٠

**(و) تنمية الانتماء والوحدة الاجتماعية :**

يقول جون ديوى «لايفوتنا فى هذا الصدد أن نسلم بالحقيقة القائلة بأن الخبرات الانسانية غايتها اجتماعية وتدعو الى الاتصال والتعامل مـع الآخرين ونؤكد على أن الخبرة تؤثر فى تشكيل وتكوين وتنمية الاتجاهات ، والاهتمامات والأغراض للأفراد » ٠ ويعبر جون ديوى عن ذلك بقوله : « ن الانسان يعيش مواقف متتابعة » وهو يعنى بذلك أن الفرد يتفاعل فى الموقف

ويتفاعل كذلك مع الأشخاص والأشياء ومايمكن أن يقال فى هذا الموقف من حيث البيئة المحيطة ٠

وكذلك ، فان نوعية الموضوع الذى يتكلم فيه الفرد يعتبر جزءا من الموقف ، كما أن التربية الفعالة تمهد وتهيىء الخبرات اللازمة للنمو المستمر، ولتحقيق ذلك ، فان التربية الحديثة يجب أن توجه اهتماما لاعداد الفرد فى اطار أكبر بكثير من الماديات ، كما أن الفهم الناتج سيعطى للحياة طعما ويعطى للعمل معنى مهما يكن العمل صغيرا ٠

ويقول جون ديوى فى هذا الصدد : «ان الخبرة الجمالية مظهر لحياة الحضارة ، وسجل لها واحياء لذكراها ٠ وهى وسيلة لترقية تطور الحياة ، كما أنها الى جانب هذا بمثابة الحكم النهائى على صفة تلك الحضارة٠ ومع أن هذه الخبرة نتاج يستحدثه الأفراد ويستمتعون به ، الا أن هؤلاء الأفراد أنفسهم لايكونون على ماهم عليه فى مضمون خبرتهم الا بسبب الثقافات أو الحضارات التى يشاركون فيها» (٥٠) ٠

وقد عقد لوكاتش مقارنة بين الجوانب الجدلية فى الشكل الروائى وبين الأنماط الاقتصادية للحياة فى المجتمع ، وتوصل من خلال هذه المقارنة الى أن شكل الرواية هو نفسه شكل البناء الاقتصادى للمجتمع !

والواقع أن هذه الفكرة تستند فى أصولها الى علم الجمال الهيجلى الذى رأى فى الأشكال الفنية تجسيدات مختلفة للتعبير عن الحقيقة ، ويظهر هذا بشكل واضح فى رؤية هيجل للرواية باعتبارها ملحمة بورجوازية تجسد الحياة الحديثة بكل تناقضاتها ، وتعقدها ، واذا كان هيجل يتابع تقاليد علم الجمال الكلاسيكى الألمانى ، كما يتبدى لدى كل من ليسنج وهردر وشيللر ، بمعنى أنه يناقش المسائل الرئيسية فى الفن من خلال قضايا عصره ، ومن خلال فهمه للبناء الاقتصادى للمجتمع الذى يعيش فيه ، فان لوكاتش قد تابع نفس الطريق (٥١) ٠

واذا كان ديوى من الفلاسفة الأخلاقيين ، فانه كان يعمل على الربط بين الفن والأخلاق ، كما كان يعمل كذلك على ربطه بالمنفعة والحياة حيث يقول: عندما تتحرر القدرة الانسانية من ذلك الميراث الثقيل المتعلق بعدم القابلية

للتغير الذى ترزح عبئه المخيلة عندئذ ، تكون هذه القدرة الانسانية بمثابة قوة ابداعية اجتماعية ، حيث لايكون الفن من أجل الرفاهية وغريبا عن مشاغل الحياة اليومية ، بل انه يعمل للحياة التى يكون الحديث عنها من الوجهة الاقتصادية ... أجل انه يعمل من أجل الحياة التى تكون جديرة بأن يحياها الانسان (٥٢) .

ومن ثم ، فان على الانسان أن يصبح اجتماعيا ، بمعنى أن يسكن فى مجتمع جمالى مع عالم منتج انسانيا من حوله ، وذلك بعد أن ينظم هذا المجتمع وفق قوانين الجمال ويدرب حواسه على أن يتناول كل شىء من أجل الشىء نفسه .

وننتقل بعد ذلك الى كيفية استفادة التربية من بعض آراء جون ديوى عن التربية الجمالية .

## ثالثا الاستفادة من آراء جون ديوى عن التربية الجمالية :

تستطيع المدرسة الاستفادة من آراء جون ديوى على النحو التالى :

**بالنسبة للمدرسة :**

١ - لابد أن يفهم المدرس أن لكل خبرة ذهنية (أو خبرة تفكير) طابعها الجمالى ، وليس هناك من فارق بين مثل هذه الخبرة وبين تلك الخبرات التى نعدها جمالية . اللهم الا من حيث المواد أو العناصر المستخدمة فى كل منهما (٥٤) .

٢ - والمدرس عندما ينغمس مع تلاميذه فى النشاط ، ويشاركهم فيه ، يستطيع أن يقدم للخبرات التعليمية وحدة ووضوحا وتركيزا .. وبذلك يصبح التعليم فنا ، وتكتسب خبرة التلميذ صفة جمالية .

٣ - على المدرس أن يجعل درسه شيقا ، وعليه أن يضع لكل موضوع هدفا يعمل هو وتلاميذه على الوصول اليه من خلال تفاعلهم معه، فيرى جون ديوى أن العدو الحقيقى للجمال هو الشىء الرتيب المبتذل كتراخى الأهداف المائعة والاذعان للتقليد فى الحياة العملية والنهج العقلى (٥٥) .

٤ - أن يفطن المدرس الى الصلة الوثيقة بين تفاعل ظروف البيئة الخارجية وبين الحاجات والرغبات الباطنة ، وآية ذلك أن كل واحد منا يرجع بذاكرته الى أيام الدراسة ، ويعجب لما حل بالمعلومات التى كان من المفروض أنه حصلها فى أيام الدراسة ومن اضطراره الى اعادة تعلم المهارات الفنية التى اكتسبها من قبل بطريقة تختلف عن الطريقة التى تعلم بها فى المدرسة (٥٦) ٠

٥ - أن يكشف المدرس عن القوى والميول والعادات كشفا صحيحا ويفهم فهما نفسيا جيدا ، كما يجب أن تدرك مراميها وتوضح أهدافها ومايمكنها تأديته من الخدمات الاجتماعية (٥٧) ٠

**أما بالنسبة للمنهج :**

١ - لابد أن تختبر المدرسة المواد ونواحى النشاط القائمة ، ولكن لابد أن يتم هذا بنظرة جديدة بحيث يتم نقل نقاط التأكيد الى زاوية أخرى ، فلا يغيب عن بالنا أنه يجب أن يكون لكل موضوع فى أحد أطوار نموه صفة جمالية من وجهة نظر الفرد يعنى بها (٥٨) ٠

٢ - ولابد أن يحتل الفن مكانه فى منهج الدراسة متكاملا مع الخبرات المختلفة التى تهيئها المدرسة للتلاميذ ، وأن يكون تناول الفن فى التربية أكبر من مجرد الاستمتاع الوقتى بالعمل الفنى ، فعلى التلميذ الذى يريد أن يفهم عملا فنيا أن يحصل أقصى مايستطيع معرفته من الفنان وحياته واتجاهاته ، ومن الوطن الذى عاش فيه ومما ساده من عادات وتقاليد ، فلكل فنان فردية ، ليس فقط بتكوينه السيكولوجى الذى ولد به وانما أيضا ماكان فى متناوله من تقاليد وأساليب عقلية مما ساد فى أيامه وفى حياته (٥٩) ٠

٣ - ولابد من ملاحظة أن الأعمال الجسمانية ، مثل التمرينات الرياضية والألعاب والرحلات ومايقوم به التلاميذ من ملاحظة ومشاهدات فى دروس مشاهد الطبيعة ومايعملونه من تجارب وغيرها ومايترتب على هذه الأشغال من دروس ، تتوافق فى أثناء قيام العين واليد معا بوظيفتهما ، فهى تدريب للانتباه وتمرين للخيال الابتكارى والانتاجى وقوة الحكم الجمالى (٦٠) ٠

٤ - ومن العلوم الأساسية التى يجب أن تتحكم مستقبلا فى منهـــج السنوات الأولى بالمدرسة : الأشغال اليدوية ، والعلوم ومبادىء الطبيعة ، والفنون بأنواعها ، والتاريخ · وهذه المواد تحافظ على وجود ميول الطفل للخلق والابتكار بصورة حية ، كما تحافظ على توجهها وتهذبها حتى تكون عنده عادات طيبة فى التفكير والعمل · تلك العادات التى يحتاج اليها ليشترك اشتراكا فعليا مجديا فى الحياة الاجتماعية (٦١) ·

**مراجع وهوامش الدراسة :**

١ ـ عادل محمد خليل ، فلسفة الجمال فى الفكر العربى المعاصر ، كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ١٩٨٨ ، ماجستير ، ص ٢ ٠

٢ ـ وفاء محمد أحمد ابراهيم ، الخبرة الجمالية بين برنارد بوزانكيت وجون ديوى ، كلية بنات جامعة عين شمس ، دكتوراه ، ١٩٨٦ ، ص ٢ ٠

٣ ـ سهام عبد الحميد الطوبى ، مفهوم التربية الجمالية وتطبيقاتها فى التربيةالفنية بالفرقة السادسة الابتدائية مععناية خاصة بنمو التفكير الابتكارى والاتجاهات نحو الفن ، كلية التربية الفنية ـ جامعة حلوان ، ١٩٧٥ ، ص٣٠

٤ ـ دستور جمعية مصر العربية ، مطابع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٤ ، ١٣ ٠

٥ ـ محمود البسيونى ، الفن والتربية «الأسس السيكولوجية لفهم الفن وأصول تدريسه ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٧ ، ص ١٥ ، ١٦ ، ٤٥ ٠

٦ ـ وفاء محمد أحمد ابراهيم ، مرجع سابق ، ص ٥ ٠

٧ ـ ابراهيم عصمت مطاوع ، أصول التربية ، القاهرة ، دار المعارف، ط ٢ ١٩٨٠ ، ص ٦٩ ، ٧٠ ٠

٨ ـ أحمد عبد الفتاح أحمد عياد ، السلوك الاستهلاكى وعلاقته بالتذوق الجمالى وبعض المتغيرات النفسية الأخرى لدى الجنسين ، ماجستير علم النفس ، كلية الآداب ـ جامعة طنطا ، ١٩٨٩ ، ص ٦١ ٠

٩ ـ جون ديوى ، الفن خبرة ، ترجمة زكريا ابراهيم ، مراجعة زكى نجيب محمود دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٢١٨ ٠

١٠ ـ منير المرسى سرحان ، الخبرة الجمالية فى التربية ، ١٩٧٣ ، ص ٧ ٠

١١ ـ تهانى عبد السلام ، دراسة تحليلية لآراء جون ديوى عن الخبرة فى التربية وآثارها فى التربية الترويحية ، صحيفة التربية ، السنة الثالثة والثلاثون ، العدد الأول ، أكتوبر ١٩٨١ ، ص ٢٣ ٠

١٢ - وفاء محمد أحمد ابراهيم ، مرجع سابق ، ص ٢٠٩ نقلا عن :
Dictionary of American Philosophy, p. 77.

١٣ - وفاء محمد أحمد ابراهيم ، المرجع السابق ، ص ٢٠٩ ٠
- جون ديوى ، الفن خبرة ، مرجع سابق ، ص ٤ - ٥ ٠

١٤ - سهام محمود العراقى ، تاريخ وتطور اتجاهات الفكر التربوى ، مكتبة المعارف الحديثة ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ ، ص ١٩٥ - ١٩٨ ٠

١٥ - أحمد فؤاد الأهوانى ، جون ديوى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٦٨ - ٧٠ ٠

١٦ وفاء محمد أحمد ابراهيم ، مرجع سابق ، ص ٢١١ نقلا عن جون ديوى ، البحث عن اليقين ، ترجمة أحمد فؤاد الأهوانى ، ص ٦ ، ١ ٠
- ابراهيم عصمت مطاوع ، مرجع سابق ، ص ٦٢ ٠

١٧ - عنايات يوسف ، مفهوم الخبرة الجمالية عند الفلاسفة وعلماء الجمال، تصنيفها وعلاقتها بالفرد ،صحيفةالتربية، السنة السادسةوالعشرون، أكتوبر ١٩٧٥ ، ص ٣٥ ٠

١٨ - محمد لبيب النجيحى ، التربية أصولها الفلسفية والنظرية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٤٦٦ - ٤٦٧ ٠
John Deawy, Experience Minton, Balch 8 Co., New York, 1934, p. 39.

١٩ - جون ديوى ، الفن خبرة ، مرجع سابق ، ص ٣٠ ٠
٢٠ - نفس المرجع السابق ، ص ٨٦ ٠
٢١ - زكريا ابراهيم ، فلسفة الفن فى الفكر المعاصر ، مكتبة مصر القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١٠٠ - ١٠١ ٠

٢٢ - جون ديوى ، الفن خبرة ، مرجع سابق ص ٩٨ ٠
٢٣ - المرجع السابق ، ص ٦٦ ٠
٢٤ - فريد ريش شيللر فى التربية الجمالية للانسان ، ترجمة وفاء محمد ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١ القاهرة ، ص ٨٧ - ١٠٠ ٠

٢٥ ـ جون ديوى ، الفن خبرة ، مرجع سابق ، ص ٨٤ ـ ٩١ ٠

٢٦ ـ عبد الرازق حجاج محمد ، الجمال والقيم الفنية ، عند صمويل ألكسندر ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ماجستير ، ١٩٧٩ ، ص ١٠٠ ٠

٢٧ ـ زكريا ابراهيم ، فلسفة الفن فى الفكر المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٩٨ ـ ٩٩ ٠

٢٨ ـ محمد لبيب النجيحى ، مرجع سابق ، ص ٤٧٥ ٠

٢٩ ـ جون ديوى ، الفن خبرة ، مرجع سابق ، ص ٩٥ ـ ٩٦ ٠

٣٠ ـ عنايات يوسف ، مرجع سابق ، ص ٣٩ ٠

٣١ ـ فاطمة عبد الحميد أبو الفوارج ، التذوق الجمالى كما تظهر فى سلوك عينة من أطفال فى سن السابعة مع عرض منهجى للتغلب عليها ، المعهد العالى للتربية الفنية ، جامعة حلوان ، ماجستير ، القاهرة ، ١٩٧٣، ص ٢١ ـ ٢٢ ٠

٣٢ ـ منير المرسى سرحان ، مرجع سابق ص ٤٧ ـ ٤٨ نقلا عن جون ديوى الخبرة والتربية ترجمة محمود البسيونى وآخرون ، ص ٢٣ ـ ٢٤ ٠

٣٣ ـ صالح عبد العزيز ، التربية وطرق التدريس ج٢ ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٧١ ، ط ٧ ، ص ٣٤٤ ٠

٣٤ ـ فاطمة عبد الحميد أبو الفوارج ، مرجع سابق ، ص ٢٤ ٠

٣٥ ـ مجموعة من علماء الجمال السوفيت ، نظرية التربية الجمالية وممارستها فى مدارس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، مجلة مستقبل التربية ، العدد الثالث ١٩٧٨ ، اليونسكو ، ص ١٣٩ ٠

٣٦ ـ صادق سمعان ، وحدة الخبرة فى الفكر الفلسفى التربوى المعاصر ، صحيفة التربية ، السنة السادسة عشرة نوفمبر ، العدد الأول ، ١٩٦٣ ، ص ٥١ ، ٥٢ ٠

٣٧ ـ جون ديوى ، الفن خبرة ، مرجع سابق ، ص ٧٠ ـ ٨١ ٠

٣٨ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد ، علم الجمال فى الفلسفة المعاصرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١٩٠ ٠

٣٩ - يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٨٨ .

٤٠ - صالح عبد العزيز ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦ .

٤١ - جون ديوى ، الفن خبرة ، مرجع سابق ، ص ٩٥ - ٣٣٨ .

٤٢ - حسن محمد حسن ، الأصول الجمالية للفن الحديث ، مكتبة الفكر العربى ، القاهرة ، د.ت ، ص ١١٢ - ١١٣ .

٤٣ - مجموعة من علماء الجمال السوفيت ، ترجمة فريق من دار الثقافة الجديدة ، مشكلات علم الجمال الحديث ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ١٠٩ - ١١٢ .

٤٤ - عادل محمد خليل ، مرجع سابق ، ص ١٣ ، ١٤ .

- زكريا ابراهيم ، الفنان الانسان ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٧٣، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

٤٥ - راوية عبد المنعم ، القيم الجمالية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٧ ، ص ٣٠ .

٤٦ - محمد على أبو ريان ، فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة ط ٤ ١٩٧٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٤٩ .

٤٧ - مجاهد عبد المنعم مجاهد ، مرجع سابق ، ص ١٩٠

٤٨ - عبد الرازق حجاج ، مرجع سابق ، ص ١٢٥ .

٤٩ - تهانى عبد السلام ، مرجع سابق ، ص ٣١ - ٣٢ .

٥٠ - محمد لبيب النجيحى ، مرجع سابق ، ص ٤٧٣ - ٤٧٤ .

- محمد منير مرسى ، أصول التربية الثقافية والفلسفية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٢٤٦ - ٢٦٣ .

٥١ - تهانى عبد السلام محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٥ ٣٢ .

- جون ديوى ، الفن خبرة ، مرجع سابق ، ص ٥٤٧ .

٥٢ ـ رمضان بسطاويس محمد غانم ، الرؤية الجمالية لدى جورج لوكاتش ، ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٣٥٤ ٠

٥٣ ـ حسن محمد حسن ، مرجع سابق ، ص ٣٣ ٠

٥٤ ـ جون ديوى ، الفن خبرة ، مرجع سابق ، ص ٦٨ ٠

٥٥ ـ المرجع السابق ، ص ٧٣ ٠

٥٦ ـ أحمد فؤاد الأهوانى ، جون ديوى ، مرجع سابق ص ٥٨ ٠

٥٧ ـ جون ديوى ، التربية فى العصر الحديث ، ترجمة عبد العزيز عبد المجيد ، ج١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ٢٨ ٠

٥٨ ـ جون ديوى ، الديمقراطية والتربية ، مرجع سابق ، ص ٢٥٩ ٠

٥٩ ـ محمد لبيب النجيحى ، النظرية الأخلاقية عند جون ديوى ، ومدى صلاحيتها للتطبيق فى التربية المصرية ، معهد التربية للمعلمين بجامعة عين شمس ، ماجستير ، ١٩٥٨ ، ص ٢١٨ ٠

٦٠ ـ جون ديوى ، التربية فى العصر الحديث ، مرجع سابق ، ص ٥٨ ، ٥٩ ٠

٦١ ـ المرجع السابق ، ص ٤٠ ٠